

الأقسام في القرآن

(19) الثالث: انقسام إنزما تكون بما يعظمه المقسم أو يُجَلِّسُهُ وهو فوقه

واللّٰهُ تعالى ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته، لا زّٰها تدل على باريّ
صانع. وقال ابن أبي الاصبع في "اسرار الفواتح": القسم بالمصنوعات يستلزم القسم
بالصانع، لأنّ ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل وأخرج
ابن أبي حاتم، عن الحسن، قال: إنّ اللّٰه يقسم بما شاء من خلقه، وليس لاحد أن يقسم إلاّ
باللّٰه. (1) ولا يخفى ضعف الاجابة. أمّا الاوّل: فانّ معنى ذلك إرجاع الاقسام المختلفة
إلى قسم واحد وهو الرب، مع أنّّه سبحانه تارة يقسم بنفسه، ويقول: (فَوَرَبِّكَ

لَنَذْخُرَنَّ بِهِمْ وَالشَّيَاطِينُ (2)، وَأُخْرِىَ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَالصَّافَاتِ وَالشَّمْسِ، فَلَوْ
كَانَ الْهَدَفُ الْقِسْمَ بِالرَّبِّ فَمَا فَائِدَةُ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْأَقْسَامِ حَيْثُ يَضِيفُ نَفْسَهُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ
مَخْلُوقَاتِهِ؟ فَإِنَّ الْعِظَمَةَ لِلَّهِ لَا لِلْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُ عِظَمَةٌ فَإِنَّهَا هِيَ مُقْتَبَسَةٌ مِنَ الرَّبِّ.
وَأَمَّا الثَّانِي: فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ سُبْحَانَهُ جَرَى عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ، وَقَدْ
هَدَمَ بِعَمَلِهِ مَا شَرَعَهُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْقِسْمِ بِغَيْرِ اللَّهِ. وَأَمَّا الثَّلَاثُ: فَيَكْتَنِفُهُ كَثِيرٌ مِنَ
الْغُمُوضِ، وَلَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ رَفْعِ الْأَشْكَالِ، وَأَمَّا مَا نَقَلَهُ عَنْ ابْنِ أَبِي الْأَصْبَعِ فَيَرْجِعُ إِلَى الْمَعْنَى
الْأَوَّلِ، وَهُوَ أَنَّ الْقِسْمَ بِالمَخْلُوقِ قِسْمٌ بِالمَخْلُوقِ. _____ 1 - الاتقان: 4|47. 2 -
مريم: 68.